

مصطلحات الدراسات الشعبية، بين تعدد التسميات واتفاق معاني المسميات

Terms of popular studies between multiplicity of naming and standardization of meanings

* ط/د: سلامي أحلام

* المشرف: أ-د/ حليم رشيد

تاريخ النشر: 2023/12/31	تاريخ القبول: 2023/02/08	تاريخ الإرسال: 2021/12/23
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية موضوعا يتعلق بتعدد مصطلحات الدراسات الشعبية، والاختلاف القائم بين النقاد في ترجمتها، ولدراسة هذه الإشكالية اعتمدنا على آلية جمع البيانات وتحليلها مع الوقوف عند أهم الأسباب التي دفعت بالدارسين إلى تبني مصطلح دون آخر، ولأجل ذلك اخترنا مصطلحات المقدرات الشعبية، كتيمة معمارية في بناء فصول مقالنا، علما أن هذه المفاهيم متداولة بكثرة في مجال الدراسات الأدبية قديما، وزاد الطلب عليها في وقتنا الحالي، ويكمن الهدف من هذه الدراسة في جمع المصطلحات الأكثر تداولاً في حقل الدراسات الشعبية.

الكلمات المفتاحية: المصطلحات، المعنى، المشترك، الاختلاف، الشعبية.

Abstract:

This paper addresses the problematic topic of popular studies multiplicity and the differences in translation between critics, To study this problem, we have relied on data collection and analysis, as we addressed the most important reasons that push scholars to adopt one

جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف/ الجزائر، مخبر التراث والدراسات اللسانية،

[slamiahlam@gmail.com/](mailto:slamiahlam@gmail.com)

* جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف/ الجزائر، مخبر التراث والدراسات اللسانية،

Halimrachid@yahoo.fr

term over another. That is why we have chosen folkterminology as an architectural advantage in the construction of our article chapters, given that these concepts are widely shared in the field of literary studies and are in high demand today.

The main objective was to collect the terms most widely used in the field of popular studies.

Key words. terms, common, meaning, difference, popular.

*** **

المؤلف المرسل: سلامي أحلام slamiahlam@gmail.com

مقدمة

مما لاشكّ فيه أنّ تنوّع المصطلحات وتعدّدها يلزم عنه الاتّفاق بين ذوي الاختصاص لإيجاد مصطلحات بديلة، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالمصطلحات الأجنبيّة إذ يصبح من الصّعوبة بمكان على الباحث العربي احتواء الرّخم المصطلحي الغربي والاكتفاء بالنقل والترجمة، ونظرا للمكانة التي يحظى بها المصطلح في الدّراسات النّقدية الحديثة، وفي ظلّ تعدّد المناهج كالأسلوبية، والبنوية، والتّفكيكية...، أصبح من الضّروري إنتاج علم خاص بالمصطلحات الفولكلورية الشّعبية يهتم باحتواء هذا الرّخم، بغية توحيد الرّؤى بين المنظرين كونها لغة التّواصل والحوار اليومي بين الناس، ومرجعية آليّة تربط بين العلوم في شتى أنحاء العالم، والمصطلحات الأدبيّة عموما والفولكلورية الشّعبية خصوصا قد أثير بشأنها سجال كبير بين الباحثين في ظلّ التّقل المصطلحي من اللّغات الأجنبيّة إلى العربيّة، ممّا قد يفقدها المعنى والدّلالة التي كانت تحملها سابقا، ومن ثمة سيؤدّي إلى عدم اتّفاق مؤسّسي المقدرات الشّعبية على مدلول عربي موحد.

إنّ اعتراف الجامعات والمنظّمات الدوليّة والعالميّة بالفولكلور والدّراسات الشّعبية كعلم مستقل بذاته عام (1888م) له وزن معرفي كبير بين العلوم، أنشئت

مراكز ومعاهد ومخابر للبحث، فيه تسعى في جهد حثيث لجمع المخزون الثقافي الشعبي ودراستها بإثارة قضية تعدد مصطلحات المقدرات الشعبية، مع التركيز على أكثرها تداولاً في الأوساط العلمية الغربية والعربية. لذلك نطرح الإشكال التالي:

- . هل بإمكاننا دراسة المصطلحات القديمة ومقارنتها بالحديثة؛ بغية استخراج أفضلها لفظاً شريطة أن تكون متقاربة مع المعنى الأصلي الذي أراد وضع المصطلح الأول تحقيقه؟
- . هل بإمكاننا توحيد جميع تسميات المصطلحات قديمها وحديثها، ونضعها تحت تسمية واحدة ذات معنى مشترك؟

1. تعريف المصطلح وتاريخ نشأته

1.1: مفاهيم مصطلحية

1.2. تعريف المصطلح في المعاجم العربية

أ/ لغة: ورد تعريف المصطلح في معجم لسان العرب لابن منظور: "الصُّلْحُ السِّلْمُ وقد اصْطَلَحُوا وصَالَحُوا واصْطَلَحُوا أو تَصَالَحُوا وأَصَالَحُوا متشدة الصاد قلبوا التاء صادًا وادغموها في الصاد بمعنى واحد وقوم صَلَّوْهُ مُتَصَالِحُونَ"¹

تكاد تتفق جميع المعاجم العربية قديماً وحديثاً أن معنى المصطلح إجمالاً يدلّ على "الصِّلح" و"السِّلْم" و"الاتِّفاق" و"التَّعارف" وهي ضدّ "الخلاف" و"الفساد".

ب . تعريف المصطلح اصطلاحاً: هو "لفظ كلمة أو كلمات تحمل مفهوماً معيناً مادياً، أو معنوياً غير ملموساً أو كلمة أو كلمات ذات دلالة علمية أو حضارية"².

مما سبق، يمكننا قراءة المصطلح على مستوى اتجاهين: الأول هو عبارة عن مجموعة من الكلمات لها معنى ماديّ أو معنويّ غير ملموس، والثاني هي مجموعة من الكلمات تحمل معنى دلاليّ علميّ كان أو حضاري، "فهو اتفاق قوم على تسمية شيء باسم ما ينقل موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما"³.

3-1. تعريف المصطلح (Terme) في قاموس (oxford):

Terme : "a word or phrase used as the name of the especially one connected with a particular type of language"⁴

معنى هذا: أنّ المصطلح هو كلمة أو جملة تُعتمد كتسمية خاصّة، مرتبطة بشكل خاص وبنوع معيّن من اللّغة؛ أي أنّه تعبير باللّغة عن معنى مقصود بلفظ مفهوم يخصّ المعنى وحده.

إنّ إنتاج مصطلح علمي جديد يقتضي بالضرورة الاتّفاق بين ذوي الاختصاص على اختيار تسمية أخرى، تحمل المدلول اللّغوي الذي عرف به آنفاً، أي أنّ الدّال هو اللفظ والمدلول هو المفهوم.

4.1 علم المصطلح (TERMINOLOGIE)

عُرّف علم المصطلح بأنّه: "بحث علمي وتقني يهتم بدراسة المصطلحات العلميّة، والتّقنيّة دراسة علميّة دقيقة، ومعمّقة تضبط فيها المفاهيم وتسميتها وتقييمها".⁵

يقوم ذوي الاختصاص بتصنيف المصطلحات، ومن معانيها يتمّ إنتاج أخرى بديلة، و"لم يتّخذ من الاشتغال بالمصطلح موضوعاً له، ومجال اهتمامه دائر على كميّات صياغته وطرق تقسيمه وآليات معالجته".⁶

يساهم المصطلح في إثراء اللّغة بمفردات جديدة، مع الاهتمام بتقنيّات وضعها، وجمعها وتصنيفها باستخدام مناهج علميّة دقيقة.

2.2 تاريخ نشأة علم المصطلح

أ/ عند الغرب

كانت البدايات الأولى لهذا العلم في أوروبا، ودُرِس كعلم تابع لحقول معرفيّة أخر كعلم الدّلالة، وعلم المعاجم وعلم التّصنيف، ظهر في نهاية القرن الثّامن عشر، وبعد توالي الدّراسات فيه استقلّ كعلم قار بذاته في نهاية القرن الثّامن عشر في ألمانيا، على "يد كريستيان غوت فريد"، بيد أنّ مجاله العلمي لم يتحدّد بوضوح إلّا حديثاً "نتيجة التّحوّل المنهجي الذي طرأ على المسألة المصطلحيّة انطلاقاً من تعويض المفهوم

القديم قائمة المصطلحات بمفهوم نظام المصطلحات، وجاء هذا التحوّل في إطار مراجعة المفاهيم اللسانية في نهاية القرن التاسع عشر.⁷

أستحدث هذا التخصّص لأسباب علميّة بحثية؛ تمثلت في التّغير المنهجي الذي رافق المسائل المصطلحيّة، و"لتوحيد المصطلحات على الصّعيد العالمي، والذي فرض مثل هذه النّواة هو التّقدّم المسجّل في المعرفة الإنسانيّة، والتكنولوجيا والاقتصاد".⁸

تتابعت بعد ذلك الدّراسات في هذا الميدان كدراسات (يوجين فوستر) ("Eugene Uster) و (برتولي) (Berthollet) و لينيه" (Linnie) كلّ حسب تخصّصه ساهم في إرساء دعائم هذا العلم.

ب/عند العرب:

"تمّ نقل علم المصطلح (terminologie) إلى العربيّة وفق عدّة ترجمات، منها علم المصطلح، المصطلحيّة، علم الاصطلاح، الاصطلاحية، علم المصطلحات، مجموع مصطلحات فنيّة".⁹

علم المصطلح في الوطن العربي لا يزال مخاض التّكوين؛ "إذ اضطلعت بهذه المهمّة "مجامع اللّغة العربيّة منها مجمع دمشق (1919)، ومجمع القاهرة (1932) دون أن نغفط حقّ شخصيّتين علميّتين جزائريّتين في هذا الشّأن هما الدكتور "عبد الرّحمان حاج صالح" صاحب مشروع الدّخيرة اللّغويّة، والدّكتور "عبد المالك مرتاض" رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة في الجزائر (2001.1998) ومدير مجلّة اللّغة العربيّة"¹⁰.

3.دراسة أهم المصطلحات الفولكلوريّة الشّعبية

1.3 أهم المصطلحات الفولكلوريّة الشّعبية

أ/عند الغرب

1- مصطلح فولكسكندة (volkskunde)

ظهر هذا المصطلح في ألمانيا بين عامي (1806-1808) من قبل كلّ من "برنتانو" Brentano و"فون أرنيتم" von Arnim وهي عبارة عن مجموعة من الأغاني الشعبية المسماة "البوق المعجز للصبي".¹¹

لم يستخدم هذا المصطلح كثيرا في تلك الفترة، لكن سرعان ما أعاد "رايل" whRiehl مؤسس الفولكسكندة الحديث استخدامة في منتصف القرن التاسع عشر، والفولكسكندة كلمة مركّبة من مقطعين فولك "VOLK" تعني الشعب أو النّاس "سكندة" SKUNDE تعني الثّقافة باجتماع المقطعين تصبح "دراسة الثّقافة الشّعبية" كما تمّ استخدام هذا المصطلح في النّمس عام 1813م ويعني الأساطير الشّعبية".¹²

نلاحظ أنّ كل باحث استخدم المصطلح حسب ما يخدم موضوع بحثه، فالأوّل قرنه بالأغاني الشّعبية، وآخر أقرّ بأنّه العلم الذي يدرس ثقافة الشّعوب (فهم الشّعب من خلال ظواهره الثّقافية)، وفئة آخر ترى أنّه صور حياة الشّعب، في حين أنّ ميلاد هذا المصطلح كان قبل ظهور الفولكلور بنحو أربعين عاما.

اختلف الألمان في تحديد تعريف شامل للفولكسكندة ويمكن أن نجملها:¹³

- الفولكسكندة: Volkskunde البحث في الثّقافة الشّعبية.
- فحص الموروثات في الثّقافة الشّعبية.
- دراسة الطّبقة الدّنيا من الأمة.
- دراسة القرويين ومأثوراتهم.
- دراسة النّاس volk.

- دراسة نفس الشعب.
- فحص الحياة الشعبية.
- دراسة الإنسان (علم الإنسان).

يمكننا تقسيم هذه التعريفات إلى اتجاهين:¹⁴ حيث يرى البعض أنّ الفولكسكندة تدرس "الراقي الأدنى" في الأمة "lower stratum"، وتمّدمج مصطلح الشعب في الأمة، أما الإتجاه الثاني فخصّ الفولكسكندة بأنّها تقوم بدراسة تراث الفلاحين.

تباينت التعريفات بشأن هذا المصطلح، لكن سرعان ما اضمحلّ كيانه، وكأنّه متعلّق بفترة زمنيّة ما، وبمكان معيّن فبدأ هذا المصطلح "يفقد كثير من مؤيديه" بأن العقود الأخيرة بسبب الصّعوبة المتزايدة في تحديد من هم عامّة الشعب "common people"، أو الطبقات الدنيا، أو طبقات الفلاحين من ناحية، وكيف يمكن من ناحية أخرى تمييزهم عن الطبقات العليا أو الطبقات المتعلّمة"¹⁵.

لم يلق مصطلح الفولكسكندة التأييد التام من قبل الباحثين نظرا لاقتران مهمّته في دراسة تراث الفلاحين، لكنّ سرعان ما حلّ محله مصطلح الفولكلور الذي كان "علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) الحاضنة الشرعية له، بعد أن بدأ الأوّل في "ترسيخ أقدامه بين العلوم، وراح يختط لنفسه ما يناسبه من النظريات، والمناهج والأساليب، متسلّحا بالأعمال الميدانيّة والنّظرية للرواد الأوائل أمثال "مالينوفسكي" و"راد كليف براون" والأخوين "جريم" و"أليكساندر هجرتي كراب" في أوروبا، و"تايلور" و"فريزر" في أمريكا وغيرهم كثير"¹⁶.

2. "الفولكلور FOLKLORE":

ارتبط هذا المصطلح بمؤسّسه "وليم جون تومز" William thoms "عام (1846) في أواسط القرن التاسع عشر، كتب "تومز" باسم مستعار "امبروزميترن" -رسالة مقالة إلى مجلة المجمع العلمي أو الأدبي" ذي أثنيوم" مقترحاً استخدام مصطلح "Folklore" الكلمة السكسونيّة المركّبة من "فولك folk" وتعني الشعب أو النّاس، و"لور Lore" "الحكمة والمعرفة، فيصبح معنى الاصطلاح "حكمة الشعب، معرفة النّاس"¹⁷.

عرّف "وليم جون تومز" الفولكلور بأنّه "العقائد المأثورة، وقصص الخوارق والعادات الجارية بين العامّة من النّاس، وكذلك ما انحدر عبر العصور من السّلوّك والعادات والتّقاليد والمعتقدات الخرافية، والأغاني الرّوائية والأمثلة الشعبيّة وغيرها".¹⁸

المصطلح	أسماء الباحثين	التّعريفات الواردة بشأن هذا المصطلح ¹⁹
	"تشارلس فرانسيس بوتر" ch.	الفولكلور "حفريات حية تأبى أن تموت" أي أن هذا العلم في تجدد دائم حتى وإن مرّ على ميلاده عقود من الزمن بقي محافظاً على رونقه
"الفولكلور" "Folklore"	"باليس" j.Balys "آرثر تايلور" "A.TYLOR"	الفولكلور "يتكوّن من الموادّ التي تنتقل تقليدياً من جيل إلى جيل، من غير نسبة موثّقة إلى متدعّ أو مؤلّف".
	"جاستر" "gaster"	الفولكلور هو ذلك الجانب من ثقافة الشّعْب الذي حفظ شعوريّاً، أو لاشعوريّاً في العقائد والممارسات والعادات والتقاليد المرعية الجارية في الأساطير قصص الخوارق والقصص الشعبيّة التي نالت قبولا

لاحظنا وجود تباين في تحديد المعنى العام للفولكلور، حتّى في نطاق البلد الواحد لمسنا وجود اختلاف، لهذا فقد اكتفينا فقط بذكر بعضها منها، لنتوصّل إلى أجدها، فالفولكلور ما يقابلها المأثورات الرّوحية الشعبيّة وبصفة خاصّة التّراث الشّفوي، وهو أيضاً العلم الذي يدرس المأثورات، هذا التّعريف جاء مطابقاً لتوصيّات مؤتمر الفولكلور الذي تمّ انعقاده في "أرنهيم" بهولندا عام 1955²⁰.

ملاحظة: الفولكسكندة والفولكلور يطلقان على الموضوع، فالمصطلح الأوّل أكثر ارتباطاً بالقرويين والفلاحين وصناعاتهم وحرفهم اليدويّة، والمصطلح الثّاني يهتمّ بدراسة المعارف والمعتقدات والثّقافة الماديّة والأدب الشّعبي، ويشمل القديم والحديث، المدينة والرّيف القروي وغير القروي...

3- الموروثات الشَّعبية (survivols):

صاغ هذا المصطلح العالم الانجليزي الأنثروبولوجي "ادوارد بورنات تايلور" (B/Taylor) بين عامي (1832 / 1917) نشره أول الأمر في كتابه "الثقافة البدائية" (1871) ومن بين "الأدلة التي تعيننا على تعقب السَّبل التي سلكتها حضارة شعوب العالم مهمّة من الحقائق، تدل على ما وجدت أنّه الأوفق أن أطلق عليه مصطلح الموروث الشَّعبي هذه الحقائق هي: الممارسات والعادات والأفكار وغيرها، ممّا ظلّ مستمراً بقوة، يختلف عن موطنها الأصلي، وهكذا فإنّها باقية كشواهد وأمثلة لثقافة أكثر قديماً، انبثقت عنها ثقافة أكثر جدّة".²¹

أقر تايلور بأن مصطلح الموروثات الشَّعبية هو الأجدر باحتواء لبنات هذا العلم، مستنداً على مجموعة من الحقائق، مثل الممارسات والعادات والأفكار، وبقيت كأدلة لثقافة قديمة، بل أنّ هناك من عدّها "عنصر ثقافي موروث من أوضاع أقدم منه ثقافياً كانت أكثر استخداماً مما هي الآن".²²

ما يزال الغموض يكتنف الباحث المصطلحي المتمرس في ميدان الدّراسات الشَّعبية حول أيّ المصطلحات الأنسبي الدّراسة، هل مصطلح الفولكسكندة الذي عدّه البعض إسماء يدلّ على العلم فحسب؛ في حين قاصر على دراسة الموضوع، وفي حين آخر رجّح البعض الآخر مصطلح الفولكلور لأنّه يبحث في المأثورات الرّوحية الشَّعبية للأمة، في حين فضّل البعض الآخر التّزوعنحو مصطلح الموروثات الشَّعبية؛ لأنّ الدّراسة فيه تتركز بشكل مباشر على الممارسات والعادات والمعتقدات...

انتقل مصطلح الفولكسكندة والفولكلور والموروثات الشَّعبية إلى البلدان العربيّة عن طريق الاستعمار والرّحلات الإستشراقية، إذ دخلوا المناطق العربيّة لأغراض استعماريّة، كانت بدايتها بقصف التّراث الشَّعبي، لمعرفة سرائر وعقليّة الإنسان العربي من خلال أقواله وإبداعاته، ليسهل عليهم بسط نفوذهم "وانتقلت تسمية الفولكلور إلى العربيّة ضمن التّأثيرات الثّقافيّة التي وفدت من الغرب، ولا يزال يستخدم من قبل عدد كبير من الكتاب العرب، لاسيّما الصّحافة والإذاعة والمسرح، ممّا أدّى إلى انتشار مصطلح الفولكلور في الحياة اليوميّة من قبل العامّة في الوطن العربي".²³

ب - المصطلح عند العرب

صار الاختلاف في تعدّد مصطلحات المقدرات الشّعبية في الوطن العربي أواخر القرن التّاسع عشر، وأوائل القرن العشرين بصورة متباطئة على يد المستشرقين، بعد أن وفدت المصطلحات الأجنبيّة إليهم، فمنهم من أبقى على هذه التّسمية، وآخرون فضّلوا ترجمتها، وتواترت التّسميات تبعاً، وراح كل باحث يترجم هذا المصطلح حسب ما يتطلّبه موضوع دراسته.

1. التّراث الشّعبي (folk Tradition):

_ لغة: ورد تعريف التّراث في معجم لسان العرب لابن منظور:

التّراث: "ما يخلفه الرّجل لورثته التّاء فيه بدل الواو، الوِزْتُ والتّراثُ والمِيزَاتُ: ما وِثَّ والوِزْتُ والمِيزَاتُ في المال، والإِزْتُ في الحسب"²⁴ إذ دلّت كلمة التّراث على ما خلفه السّلف للخلف من عادات وتقاليده وروايات شفويّة...

- اصطلاحاً: "التّراث هو مجموع الرّموز وأشكال التّعبير الفنّية والجماليّة، والمعتقدات والتّصوّرات والقيم والمعايير، والتّقنيات والأعراف والتّقاليده والأنماط السلوكية، التي تتوارثها الأجيال، ليستمرّ وجودها في المجتمع بحكم تكيفها مع الأوضاع الجديدة، واستمرار وظائفها القديمة"²⁵.

- الشّعب: جاء في المعجم الوسيط "شَعَبَ الشَّيْءُ، شَعْبًا: تَفَرَّقَ وَإِلَيْهِ نَزَعَ وَاشْتَقَّ وَعَنْهُ: بَعْدَ وَالشَّيْءُ فَرَقَهُ وَاسْتَعْمَلَ فِي الضَّدِّ شَعْبٌ فَقِيلَ الصَّدْعُ لَهُ وَأَصْلَحَهُ، ومنها كلمة الشّعبُ: الجماعة الكبيرة ترجع لأب واحد، وهو أوسع من القبيلة، والجماعة التي تخضع لنظام اجتماعي واحد"²⁶.

التّراث الشّعبي: "مصطلح شامل نطلقه لنعني به عالماً متشابكاً من الموروث الحضاري، والبقايا السلوكية، والقوليّة، والفنون الاستعراضية، والصناعات الحرفيّة التي بقيت عبر التاريخ..."²⁷

راح كلّ باحث يؤسّس لفكرته، ويحيك لها لباسا بمقاسها، وظلّ "التّراث بعامّة والشّعبي بخاصّة محتفظا بعلو منزلته وسموّ مكانته، وثناء قيمته ومكان لجذوره، إذا تعامل معه من يحسن بعثه وإحياءه ويجيد استثماره ويقصد معامل القوّة فيه"²⁸.

- الأدب الشّعبي (la littérature populaire)

هذا المصطلح دارت بشأنه العديد من التّعريفات، فهناك من يرى بأنّه مزيج بين الأدب العامّي والرّسمي، وآخرون يرون بأنّه فرع من فروع التّراث الشّعبي، بعدّ هذا الأخير أوسع في الدّراسة، وفئة أخرى ترى أنّ إضافة سمة الأدب على لفظ الشّعبي هو إعلاء من قيمة هذا العلم.

تعريف الأدب لغة: "هو الذي يتأدّب به الأديب من النّاس؛ سعيّ أدبا لأنّه يؤدّب النّاس إلى المحامد، وينهاهم عن المقايح، وأصل الأدب الدّعاء، ومنه قيل للصّنيع يدعى إليه النّاس مدعاة ومأدب(...)الأدب: أدب النّفس والدّرس، والأدبُ الظّرف وحسن التّناول، وأدبُ بالضمّ، فهو أديب، من قوم أدباء وأدبه فتأدّب: علمه، واستعمله الرّجّاج في الله عزّ وجلّ، فقال وهذا أدب الله تعالى به نبيّه ﷺ".²⁹

ج . الثقافة الشعبية (la culture populaire)

أ - لغة: ورد تعريف الثّقافة في معجم لسان العرب لابن منظور: "ثقف السّيء ثقفا، وثقافًا وثقوفة، حذقه ورجل ثَقُفٌ وَثَقُفٌ وَثَقُفٌ حاذق فهم، واتبعوه فقالوا ثَقِفٌ لَقِفٌ، وقال أبو زياد رجل ثَقِفٌ لَقِفٌ رام راو، اللّحيان: رجل ثَقِفٌ، وثقف، لقف، وثقيف، لقيف، بين الثّقافة واللّفاقَة، ابن السكيت: رجل ثقف لقف إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به، ويقال ثقف السّيء أي سرعة التّعلم، ابن دريد: ثقت السّيء أي حذفته، وثقفته إذا ظفرت به قال الله تعالى: "فإِذَا تَثَقَّفَهُم فِي الْحَرْبِ (...) وَالثّقَافِ وَالثّقَافَةُ الْعَمَلُ بِالسَّيْفِ"³⁰.

ب . اصطلاحا: إنّ التّنوع في آراء الباحثين حول تحديد معنى الثّقافة راجع بالأساس إلى اختلافهم في تحديد مصدر هذه الكلمة، هل هي تعريب لمصطلح أجنبي أم أنّ أصلها

عربي، كونها دلّت على "الصّقل والتّهذيب، أو جعل الشّيء أو الإنسان لا اعوجاج في عمله أو سلوكه"³¹ دلّت الثّقافة في الوقت الرّاهن على الجانب الفكري أو المعنوي للحضارة.

وكلمة (culture) "ارتبطت في وقت من الأوقات بالزّراعة والحِث، فقد استعملت أيضا في معنى العبادة والتّقديس (...)" ثمّ انتقلت لتعني التّجويد أو الصّقل بالتّربية والتّدريب"³².

-تعريف الثّقافة الشّعبية: "البناء الكامل من الأفكار والمعتقدات والأخلاق والقوانين واللّغة، كما تشمل أيضا الأدوات والأسلحة والآلات وغيرها من المخترعات"³³، وتشمل الثّقافة الشّعبية جميع الإبداعات والأفكار والتّصوّرات والسلوكيات الفرديّة، فهي مرتبطة بالأنثروبولوجيا الثّقافيّة وتدرس ما يقوم الإنسان بإنتاجه بعد الثّقافة.

3. 2 أهم النّتائج المتوصّل إليها:

-النّتائج ومناقشتها: بعد رحلة البحث عن مصطلحات المقدّرات الشّعبية الأكثر تداولاً بين الدّول الغربيّة والعربيّة، والاختلاف القائم بينهما من حيث المبنى والمعنى لاحظنا:

أوّلاً: الاختلاف في التّسمية

ممّا لاشكّ فيه أنّ كلّ فروع المعرفة ذات درجات متباينة من الوضوح، تتمتع بمقدار معيّن من الإعراف يقلّ أو يكثر بحسب ظروف كلّ مجتمع؛ هذا الاعتراف قد يؤدّي إلى بناء أفكار جديدة تبرّر صدق موقف ما، أو تنقده، وبما أنّنا بصدد دراسة الجانب المفاهيمي للمقدّرات الشّعبية، لاحظنا وجود اختلاف في المسمّى حتى عند ذوي الاختصاص، وعدم وضع معايير محدّدة لضبط تسميّات تلمّ بهذا العلم الذي كان قاصراً على إيراد المسمّى الأصلي الذي يختلف مدلوله من بلد لآخر.

مصطلح الفولكلور سكندة كلمة سكسونيّة مركّبة من مقطعين (فولك، سكندة)، وتعني الثّقافة الشّعبية، صاغها فرد ما من بيئة اجتماعيّة معيّنة وفدت إلى المجتمعات العربيّة عن طريق الرّحلات العلميّة والاستشراقية، هذه الكلمة إن لم يتمّ شرحها تبقى حبيسة المحيط الذي أنتجت فيه، كذلك هو الأمر بالنّسبة لمصطلح الفولكلور فلو أنّنا أجرين مسحاً للمواد التي نشرت تحت اسم الفولكلور لاتضح لنا أنّ الموضوع يختلف اختلاف بيّن تبعاً لما يريد الباحث أن يجعله فولكلوراً"³⁴ هذا المصطلح قد نال حظوة كبيرة في

الأوساط العلمية الغربية والعربية، ويبدو أنّ واضعه قد استنبط التسمية من مصطلح الفولكسكندة واستبدل مقطع "سكندة" بـ"لور" ليؤكد على وجود اختلاف بين المصطلحين، أما مصطلح الموروثات الشعبية "survivols" فهي إحدى معاني الفولكسكندة.

لمسنا في الوطن العربي وجود العديد من المصطلحات العلمية الشعبية بعد أن تهيأت لها الظروف وزحفت التسميات الأجنبية، وتمّ ترجمتها وفهم فحواها، وهذا ما كان كفيلا في بناء تسميات عربية (التعريب) تحاكي المعنى العميق للمصطلح الأجنبي، وتواترت على إثر ذلك جملة من التسميات مثل الموروثات الشعبية، الشعبيات، الفنون الشعبية، المردودات الشعبية... هذه المصطلحات لم تحظ بالقبول مثل ماناله مصطلح التراث الشعبي، الذي أخذ في الغالب الأعمّ من معاني الفولكلور، أما مصطلح الأدب الشعبي الحديث فقد نقشت تسميته من موضوعات الفولكلور، كذلك هو الحال بالنسبة لمصطلح الثقافة الشعبية أستلّ من معاني الفولكسكندة.

ثانيا: الاختلاف في الموضوع

لم يتفق ذوي الاختصاص حول تعيين مواضيع الدراسة التي تندرج تحت هذه التسميات؛ بل أننا وجدنا في البلد الواحد اختلافات جلية في تحديد المعنى العميق لكلّ المسميات، بمعنى أنّ الدال لا يطابق المدلول؛ بداية بمصطلح الفولكسكندة الألماني لمسنا وجود اختلاف في المصطلح ذاته؛ اختصت هذه التسمية عند صياغتها أول الأمر بدراسة الأغاني الشعبية، وآخر حصرها في دراسة أساطير هذا الشيء الظاهر؛ أمّا بخصوص المعنى الخفيّ فإنّه يشار إلى العلم، وخصّ به واضعه دراسة تراث وثقافة الفلاحين والطبقة الدنيا من المجتمع، في حين أنّ هذه الدراسة عامّة وموضوعها غير محدّد المناحي، "ذلك أنّها ذات استعمال أوسع مدارا، فهي تضمّ فيما تضمّ دراسة فنّ الفلاحين وصنائعهم اليدوية"³⁵.

بعد عرض التعريفات التي قيلت بشأن المصطلح الإنجليزي الفولكلور، لاحظنا وجود اختلاف في تحديد موضوع الدراسة بين أهل الاختصاص، حيث قسمها كل باحث حسب تخميناته وتحليلاته لطبيعة هذه المادة الحيويّة، فمنهم من قسمه إلى ستّة

موضوعات، وبعدها تمّ تقليصها إلى أربعة (العادات والمعارف الشعبية، العادات والتقاليد الشعبية، الأدب الشعبي وفنون المحاكاة، الفنون الشعبية والثقافية المادية) كذلك هو الأمر بالنسبة لتقسيم الموضوعات في الوطن العربي، فقد لاحظنا اختلافات جلية في تحديدها؛ وبالتالي يبقى "تصنيف التعريفات أو الرئيسي منها على الأقل وفقا للمعايير التي وضعها الإسباني دياس (Dias)³⁶، المعايير الثقافية-/ المعايير السّوسولوجية-/ معايير السّيكوسوسولوجية-/ المعايير الإثنولوجية، هذه المعايير يمكن الأخذ بزمامها في تصنيف التعريفات وتحديد موضوع الدّراسة في نطاق ذلك العلم.

انطلقنا نحو الجانب الدّلالي لهذه الدّراسة، وصوّبنا زاوية نظرنا داخل المعنى العميق لهذه التعريفات، فوجدنا أنّ جميعها تسعى لدراسة الإنسان البدائي، وصولاً إلى الإنسان الحديث، وتساءلنا مرارا وتكرارا عن الهدف الأسوى من هذه الدّراسات ؟ ولماذا ندرس هذا العلم؟

. ما السّبب الّذي أدّى إلى اختلاف الباحثين في تحديد مصطلح موحّد للدّراسات الشّعبية؟

أمّا عن العوامل المتحكّمة في اختلاف تسمية الدّراسات الشّعبية فيمكن ردّها إلى:

أ/العامل الاجتماعي: يساهم هذا العامل في توليد المصطلحات بين أفراد البلد الواحد على اختلاف لهجاتهم، وإن خرجت على نطاق هذا المحيط، سوف تقابل بالرفض، إما لأنّها تتنافى مع قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم، أو أنّهم لم يفهموها كون الإنسان ابن بيئته، وغير منفصل عن فضائه، بل أنّه هذا الفضاء ذاته كما عبّر عن ذلك ماركيز غرسيا.

ب/عامل الزّمان: عامل الزّمان له دور كبير في تحديد المصطلح، وكأنّ الزّمان يضبط لنا تاريخ ميلاده، أو على الأقلّ التنبؤ بتاريخه، بعدّ الزّمن مرحلة تمضي لحدث سابق إلى حدث لاحق، يبقى السّؤال مطروحا: هل أثر هذا الاختلاف على موضوع الدّراسة؟، نعم أثر هذا التباين على موضوع الدراسة، من جانبين:

أ/ جانب إيجابي: - ثراء وتنوع في المادّة الشّعبيّة

- عمق البحث والدّراسة في الدّراسات الشّعبيّة والفولكلوريّة.

- تنوع وتعدّد المفاهيم، ينتج عنه ثراء في المادّة العلميّة الشّعبيّة، وبالتّالي الباحث غير مقيّد بذكر مصطلح معيّن، بل إنّ له حرية الاختيار، شريطة أن يكون على دراية واسعة بهذا العلم وفهم مدلولات مصطلحاته.

ب/ جانب سلبي: - ترجمة المصطلح من لغة إلى أخرى، قد يفقده قيمته المعرفيّة التي يحظى بها في بلد معيّن.

- صعوبة الإلمام بجميع المصطلحات، وأنّ عدم ضبط معناها قد يؤدّي إلى الإخلال في فهم مادّة الدّراسة.

- تشتّت تفكير الدّارس، أي أنّه يعجز على تحديد الأهمّ، والأنسب لموضوع دراسته.

- يمكننا إذن توحيد هذه المصطلحات العلميّة الشّعبيّة، لكن بشروط يلزم التّقيّد بها:

عند نقل أو ترجمة المصطلح الأجنبي إلى اللّغة العربيّة (التّعريب)، وجب أن يكون النّقل حرفيّاً دون زيادة أو نقصان، ككلمة (Folklore)، و(volkskude) حتى لا تفقد الكلمة الحمولة المعرفيّة التي عرفت بها في تلك البلدان، ويبقى على الباحث عند التّرجمة أن يتقيّد بالمدلول أو المعنى الأصلي لهذه الكلمة يذكر المصدر، وبعدها بإمكانه إنتاج تفرّعات مصطلحيّة عربيّة جديدة تتطابق معها في الدّلالة، شريطة أن يكون التّواضع والاتّفاق بين أهل الاختصاص على إدراج هذه المصطلحات في المناهج العلميّة الخاصّة بها.

عند الاستعانة بمصطلح شعبي معيّن يلزم أن تتوفّر فيه المعايير العلميّة التّالية:³⁷

- مجهوليّة المؤلّف/ الشّفاهيّة، أو التّناقل الشّفهي/ الانتشار والتداول (الشّعبيّة)/- المحتوى الثّقافي المعبر عن وجدان الجماعة /- البنية والأسلوب الفنّي /- اللّغة العاميّة.

3 - 3 حوصلة:

بعد أن استعرضنا أهمّ مصطلحات الدّراسات الشّعبية الوارد تواترها في العالمين الغربي والعربي، وبما أنّنا بصدد دراسة علم المصطلح، لابدّ لنا أن نفصل القول في هذه القضية، وعلى بالرّغم من الجهود المبذولة من قبل الباحثين في تكوين وإنتاج مصطلحات تعنى بالمقدرات الشّعبية على كثرتها وتنوّعها، إلّا أنّ هناك مصطلحات تحظى بشهرة وانتشار واسع، على قدمها لا تزال لحدّ السّاعة محافظة على رونقها وسحر بريقها، نذكر من ضمن هذه المصطلحات.

1/ في العالم الغربي: تم ترجيح استعمال مصطلح الفولكلور بالرّغم من وجود مصطلح آخر قبله، إلّا أنّه لم ينل حظوته نظرا لاقتصار مهامه صيغ هذا المصطلح كبديل لآخر، في حين أنّ الفولكلور هو مصطلح علمي وعالمي تمّ تداوله واستخدامه في اللّغات الأوربيّة لينتقل إلى العربيّة، وهو في أعظم معانيه تكملة لرسالة التّاريخ (غير المكتوب)، ما يزال في حركيّة ونشاط تهجّي به الألسن قابع في مكان من الرّوح، فهو متمم للتّاريخ.

2/ العالم العربي: تواترت العديد من المصطلحات في الوطن العربي على كثرتها وتنوّعها، لذلك لا بد أن يتم ترجيح إحداها، وبعد التعمق في هذه الدّراسة وتتبع مسار تطوّرها في خضم ذلك بزغت تسميّات عديدة، لكنّ المسعى الأكبر الذي تحصّل على أعلى نسبة تداول هو مصطلح التّراث الشّعبي، رغم أنّ هذه التّسمية هي إحدى معاني الفولكلور أو اشتقاق أو ترجمة لها، إلّا أنّ هذا فرض نفسه واحتلّ الرّيادة في الأوساط العربيّة بعدّه مصطلحاعاما يتشكّل من مجموع الموروث الحضاري، وبقيائه التي لازالت آثاره حيّة على مرّ العصور، والنّبيء الذي حافظ على بقاءه هو الانتقال والتّداول بين البيئات والألسن.

4. خاتمة:

ومما سبق عرضه بخصوص تعدّد واختلاف مصطلحات الدّراسات الشّعبية في العالمين الغربي والعربي، بداية بأقدمها، وصولا إلى أجدها وأقربها من المعنى الأصلي، يمكننا استخلاص جملة من النتائج هي:

- رغم التّنوع والتّعدّد في مصطلحات العلوم الفولكلوريّة والشّعبيّة، إلّا أنّها أثّرت هذه الفرع وتكاثفت معاول الدّراسة لمزيد من البحث فيه.

. استنتجنا من خلال هذه الدراسة أنّ لكل علم مصطلحاته العلميّة الخاصّة كعلم الرّياضيات، والعلوم الفيزيائية، والاجتماعيّة، وكلّ ميدان حقل مصطلحي يعرف به.

. ولأنّ المصطلح نما في رحم البيئة الاجتماعيّة، فإنّه بات من الضّروري أن ينحت رواد هذا الاختصاص مفاهيم علميّة تحاكي المحيط، حيث يصبح الدّال مطابقا للمدلول.

. يمكن ردّ السّبب الأساسي للاختلافات الموجودة في ساحة الدّراسات الشّعبيّة إلى سوء ترجمة المصطلحات الأجنبيّة والمغالطات التي تحدث عند نقل أو تعريب هذه المفاهيم من لغة للغة أخرى.

*** **

5. الهوامش:

¹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار الجليل ودار لسان العرب، بيروت، لبنان، (1988) مادة (ص. ل، ح).

² وحيد دويدي رجا، المصطلح العلمي في اللغة العربيّة عمقه التراثي وبعده المعاصر، دار الفكر، ط1، (دمشق)، (2010)، ص 147.

³ علي بن محمد علي الحسيني الجرجاني، التعريفات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، ط2، (بيروت، لبنان)، (2003)، ص32.

⁴ Oxford Advanced learner S dictionary of current, English oxford, university press , 7 th, p 1583

⁵ عمار ساسي، المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة، جدار الكتاب العالمي، عالم الكتب الحديثة، ط1، الأردن، (2009)، ص 106.

⁶ صابر الجمعاوي، القضايا المصطلحية في الترجمة من الانجليزية إلى العربيّة، المركز العربي لتعريب والترجمة، د، ط، دمشق، سوريا، (2009)، ص 13.

⁷ محمد طيّ، وضع المصطلحات، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د، ط، الجزائر، (1992)، ص 37.

⁸ عثمان بن طالب، تأسيس القضية الاصطلاحيّة، بيت الحكمة د، ط، تونس، (1989)، ص 69.

- ⁹ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، (2008)، ص 31.
- ¹⁰ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي (2008)، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، ص ص، 30، 31.
- ¹¹ فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟، دار المعارف، مكتبة الأدب الشعبي، مصر، (1964)، ص 32.
- ¹² عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور التراث الشعبي الموضوعات الأساليب المناهج، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، (2007)، ص 29.
- ¹³ فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟ (1964)، مكتبة الأدب الشعبي، دار المعارف، د. ط، مصر، ص ص 32، 33، 34.
- ¹⁴ محمد الجوهري، علم الفولكلور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، ج1، مصر، د. ت، ص ص 40، 41.
- ¹⁵ محمد الجوهري، علم الفولكلور، د. ت، دار المعرفة الجامعية، ط1، ج1، الإسكندرية، مصر، د. ت، ص 43.
- ¹⁶ عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور التراث الشعبي الموضوعات الأساليب المناهج، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، (2007)، ص 16.
- ¹⁷ محمود مفلح البكر، مدخل البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، د. ط دمشق، (2009)، ص 26.
- ¹⁸ احمد رشوان حسين عبد الحميد، الفولكلور والفنون الشعبية، المكتب الجامعي الحديث، د. ط، الإسكندرية، (1993)، ص 02.
- ¹⁹ فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟، دار المعارف، د. ط، مكتبة الأدب الشعبي، مصر، (1964)، ص ص 36، 37، 38.
- ²⁰ فوزي العنتيل، بين الفولكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، مصر، (1978) ص ص 34، 35.
- ²¹ فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟ (1964)، دار المعارف، د. ط، مكتبة الأدب الشعبي، مصر، ص 19.
- ²² فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟، دار المعارف، د. ط، مكتبة الأدب الشعبي، مصر، (1964)، ص 23.
- ²³ التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ط، الجزائر، (1990)، ص 71.
- ²⁴ ابن منظور، لسانالعرب، دار صادر، ط3، مج 15، لبنان، (2004)، مادة (و.ر.ث).
- ²⁵ عبد الحميد بورايو وآخرون، الموروث الشعبي قضايا الوطن (محاضرات الندوة الفكرية السادسة للملتقى الوطني للموروث الشعبي)، رابطة أهل الفكر، د. ط، الوادي الجزائر، (2006)، د. ط، ص 09.
- ²⁶ أنس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، (2004) ص ص 483، 484.
- ²⁷ فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، دار الشروق، ط1، لبنان، (1992)، ص 12.

- ²⁸ كامل بلحاج، اثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط دمشق، سوريا، د ت، ص 136.
- ²⁹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ط1، م1، لبنان، مادة (أدب)، ص ص 206، 207.
- ³⁰ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، دط، بيروت، لبنان، م9، باب (ثقف)، دت، ص ص 19، 20.
- ³¹ طه متوكل، الحكاية الشعبية في جنوب المغرب، إفريقيا الشرق، د ط، المغرب، (2018)، ص 32.
- ³² طه متوكل، الحكاية الشعبية في جنوب المغرب، (2018) إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، ص ص 32، 33.
- ³³ فوزي العنتيل، بين الفولكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، مصر، (1978) ص121.
- ³⁴ محمد الجوهري، علم الفولكلور، دار المعرفة الجامعية، ط1، ج1 الإسكندرية، مصر، دت ط1 ص35.
- ³⁵ ألكسندر هيجرتي كراب، ترجمة أحمد رشدي صالح، علم الفولكلور، دار الكتاب العربي، دط، وزارة الثقافة مؤسسة التأليف والنشر، القاهرة، مصر، (1967)، ص17.
- ³⁶ محمد الجوهري، علم الفولكلور، دار المعرفة الجامعية، ط1، ج1، الإسكندرية، مصر، دت، ص35.
- ³⁷ أحمد علي مرسي، الأدب الشعبي العربي - المصطلح وحدوده .. الندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب، دط، الدوحة، قطر، (1984)، ص 13، 33.